مجلة مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة

العدد الخامس ربيع الثاني – جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ يونيو – أغسطس ٢٠٠٣ م

- البناء والكراء في سوق المناخة بين المنع والإباحة
- أمراء المدينة المنورة في النصف الأول من العهد العثماني
- الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العهد المملوكي
- جماليات المكان ـ العقيق نموذجاً ـ قراءة في شعر شعراء المدينة المعاصرين
- رحلة ابن بطوطة إلى المدينة المنورة

تحفة الأدباء وسلوة الغرباء للخياري

مجلس سلطاني لحقوق أهل المدينة

التحرير

مقدمة حظيت المدينة المنورة بمكانة متميزة في المؤلفات التراثية ، فما من قرن – بل وأكاد أقول ما من جيل – إلا وظهرت فيه كتابات عنها ، تبحث في قضايا شتى ؛ فضائلها ، معالمها ، ولا سيما المسجد النبوي ، أعلامها ، الرحلة إليها ... الخ ، فضلاً عن كتب السيرة النبوية التي يستغرق العهد النبوي أكبر شطر فيها .

لذلك تجمع للمدينة تراث ضخم حُقق بعضه ، ونشر بعضه دون تحقيق ، وما زال قسم مهم منه في الخزائن المغلقة أو الرفوف المنسية .

وعندما أنشئ مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة وضعت في خطط عمله الرئيسة جمع تراث المدينة المنورة المخطوط أصولاً أو صورًا ، وتيسيره للباحثين والمحققين ، والعمل معهم على تحقيقه ونشره ، وقد جمع المركز حتى الآن صورًا لمائتين وثلاثين مخطوطًا ، ويواصل جهده ليحيط بأكبر قدر ممكن من هذا التراث الموزع في أنحاء العالم ، وأصدر فهرسًا تحليليًا لمائة مخطوط منها ، وسيصدر فهرس المائة الثانية غير بعيد إن شاء الله .

وفي الطريق إلى استكمال جمع هذا التراث ، يسره أن ينشر في هذه المجلة مقتطفات مختارة من المخطوطات التي لم تحقق بعد ؛ ليستفيد القارئ مما فيها عن جوانب الحياة والأحداث زمن تأليفها ، وليعايش أسلوب ذلك العصر ، وليشد أنظار المحققين والمهتمين بالتراث ، فيعملوا على إخراجها .

وقد اخترنا في هذا العدد مخطوطًا عنوانه : **تحفة الأدباء وسلوة الغرباء** لإبراهيم بن عبد الرحمن بن علي المدني الخياري ، لنقتطف منه جزءًا يعرض حادثة ذات دلالات كثيرة ، نترك للقارئ أن يستمتع باستنتاجها ومعايشتها .

أما المؤلف[١] ؛ فقد ولد في المدينة المنورة سنة ألف وسبع وثلاثين للهجرة ، في أسرة تهتم بالعلم ، وكان والده مدرسًا في إحدى المدارس الوقفية بالمدينة المنورة ، فبدأ تعليمه على يديه ، ثم انتقل إلى حلقات المسجد النبوي فأخذ من عدد من الشيوخ ، وكانت حلقات المسجد النبوي تزخر بالعلماء من أهل المدينة ومن المجاورين فيها والزائرين الذين يقيمون فيها لبعض الوقت ، وتتاح لهم الفرصة كي يفيدوا بعلمهم من يجلس إلى حلقتهم ، وكان من شيوخه المحدث الكبير محمد بن علاء الدين البابلي ، وقاضي الحرمين محمد الرومي ، وعيسى بن عامر المغربي .

برع المؤلف في الحديث والأدب والتاريخ ، وكان كثير الحفظ ، حلو العبارة ، حسن المعشر ، تحول بعد أن تمكن من العلم إلى التدريس في إحدى حلقات المسجد النبوي ، وولي الخطابة لبعض الوقت ، وعندما توفي والده شغل مكانه في التدريس ، وكان للتدريس مخصصات مالية من ريع الوقف ، فزاحمه عليه بعضهم وأخذه منه .

قام الخياري برحلة إلى العاصمة العثمانية الآستانة ، وكان ينزل في كل مدينة كبيرة ، ويمكث فيها بعض الوقت ليلاقي علماءها ويأخذ عنهم أو يحاورهم ، لذلك طالت رحلته أحد عشر شهرًا وبضعة أيام ، عرج فيها في طريق عودته على القاهرة ، ولقي بعض علمائها أيضًا ، واستجازهم فأجازوه .

ويبدو أن الهدف الرئيسي من رحلته كان التظلم من نزع وظيفة التدريس منه واستعادتها ، ويذكر المحبي أنه التقى بالمفتي الأعظم وأجاز له وقرر المدرسة عليه ، وخلال إقامته في العاصمة العثمانية رأى في دهاليز الإدارات ما خيب آماله رغم الاحترام الكبير الذي حظي به ، والذي كان يحظى به كل قادم من أهل المدينة إلى العاصمة ، وقد قيض للمؤلف أن يشهد مجلسًا للسلطان العثماني لبحث قضية فساد إداري وقعت في المدينة المنورة ، حيث تواطأ عدد من المتنفذين على أخذ شحنة من الحبوب المرسلة من مصر لتوزع على أهل المدينة الفقراء ،

(١) انظر ترجمته في : خلاصة الأثر ٢٥/١ ، تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من أنساب ٢٠٥ ، الأعلام للزركلي ٤٦/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فوزعوا بعضها واستأثروا بالباقي ، فضج أهل المدينة ورفعوا دعوى ضدهم نتج عنها إدانة هؤلاء المتنفذين ، وعلى رأسهم دلاور آغا ، الذي عينته العاصمة العثمانية شيخًا للحرم ، فعزل من منصبه ، وأعيد إلى الآستانة ، ويبدو أن الأمر قد بلغ السلطان فاستعظمه ، وقرر أن يبحث فيه بنفسه ، فأمر بعقد مجلس قضاء لمساءلة دلاور آغا ، ودعي الخياري باعتباره من أهل المدينة الذين شهدوا الحدث ... ونترك للقارئ الكريم أن يعيش أحداث الجلسة من خلال ما كتبه الخياري ، وأن يستنتج منها الدلالات الإدارية والاجتماعية والنفسية الكثيرة .

كتب الخياري رحلته بعد عودته ، واستغرق في كتابتها أكثر من سنة ، وبث فيها مشاعره ، وعاش بعدها قليلاً ، فقد توفي فجأة ثاني أيام رجب سنة ألف وثلاث وثمانين للهجرة .

أما المخطوط فيقع في ٢٢٩ ورقة وفي كل ورقة صفحتان ، و في كل صفحة ٢٥ سطرًا ، وهي نسخة جيدة ، مصححة ، مقابلة ، عليها هوامش قليلة ، ضبطت بعض كلماتها بالشكل ، وكتبت رؤوس المباحث وأسماء المواضيع بخط كبير ، نقلت عن نسخة مكتوب عليها بخط مؤلفها ، وقوبلت عليها فصحت في أولها وآخرها ختم مكتبة عارف حكمت وختمان مطموسان .

تبدأ المخطوطة بوصف خروجه من المدينة ، وعادة أهل المدينة في توديع المسافر واستقباله ، ثم ذكر المنازل بين طيبة وتبوك ، والمساجد التي صلى فيها رسول الله ﷺ بينهما ، وتستطرد إلى الحديث عن غزوة تبوك ومعجزاتها ، ثم تصف المنازل بين تبوك والقاع أو وادي التيه ، ذات حج ، وادي جعيمان ، العقبة ، معان ، عنيزة ، الحسا ، القطراني ، البلقاء ... دمشق .

ويتحدث المؤلف عن لقائه بأعيان وعلماء وأدباء الشام ، ويصف معالم دمشق وأسواقها وحماماتها ، والمسجد الأموي وعمارته .

ثم يتابع وصف رحته إلى القسطنطينية ويذكر المنازل التي ينزلها في القصير ، القطيفة ، القارة ، حمص ، أنطاكية ، بيلان ، اسكندرونة ... ، ويقارن بعضها ببعض المواضع في المدينة الشريفة ، مثل مقارنته بين الشاقط ووادي العقيق ، ومقارنته بين فاكهته ورطب المدينة المقارنة بين بعض المساجد والمسجد النبوي الشريف .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثم يصف وصوله إلى القسطنطينية ويتحدث عن جوامعها وأهم عجائبها [الباذستان ، سراج خانة ، خان الجواري] ، والأيام التي عاش فيها ، والأحداث التي شهدها ، ومنها الجلسة التي نعرضها في الصفحات التالية .

ويتحدث المؤلف في بقية مخطوطه عن سفره في طريق العودة إلى الشام ، ثم القدس ، ويصف المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، ويذكر من لقيه من العلماء ، ثم يصف رحلته إلى غزة وخان يونس والعريش ، ومواصلة الطريق إلى القاهرة مقارنًا بين رطب المدينة ورطب العريش ، ويذكر المنازل إلى القاهرة [بئر العبد ، قطية ، بئر الدويدار ، الإيوان ، الصالحية ، خطارة ، بلبيس ... القاهرة] .

وفي القاهرة اهتم المؤلف بلقاء العلماء ، وخاصة علماء الجامع الأزهر ، ويصف نهر النيل ، ويذكر بعض الأخبار التي سمعها عنه ، ويصف الأسواق والأهرامات ، ويستطرد إلى الحديث عن جغرافية مصر وتاريخها ، وبعض فضائلها ، ثم يصف رحلة عودته من مصر إلى المدينة ، والتي قطعها في شهر وثلاثة أيام ، حيث وصل المدينة في الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة ، من عام ١٠٨٠ للهجرة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مقتطف من الرحلة ، من ص ١٠٥ب إلى ص ١٠٨ب :

... ثم كان وصل معنا لهذه الديار ، ونظمه وإيانا في سلك منهج التسيار ، شيخ حرم المدينة المعزول عنها دلاور آغا ، بعد أن وقعت المحاسبة بينه وبين باقي النظار من القضاة ونوابهم وبين مستحقي أهل المدينة الفقراء في حبوب الدشايش وأموالها الواصلة من الديار المصرية إليهم ، واستيلاء المذكور ومن ذكر معه على ذلك ، وتبين أن تصرفهم على خير الوجه المقتضي للمصلحة ، وكتبت بينهم حجج وتمسكات وأوامر سلطانية واردة في العام الماضي ، إلى غير ذلك مما هو معلوم لدى الخصوص والعموم ، وفي شهرته ما يغني عن تسطيره وتنميق لفظه وتحبيره ، وكان يتوهم منا ومن باقي أصحابنا المدينين المطالبة له بما يتعلق بذلك ، والدعوى عليه بشيء مما هنالك ، فتدخَّل على كثير من أرباب الدولة ، وتوسل بجمع من أصحاب القبول ، وتشفع بهم إلى حضرة الملك أطال الله عمره ، ونفذ في الخافقين أمره ، واستفتى حضرة شيخ الإسلام جاريًا على وهمه الماضي ، فاستعظم من بلغه أمر ما أشاعه ، وقد نمى خبر ذلك لحضرة الملك ، بل بلغنا كتابة قزلار آغا في شأن ذلك للباب العالي ، فاقتضى الرأي الشريف السلطاني أن تكون هذه الدعوى على يده ، وأن يتولى فصلها بنفسه ؛ طلبًا للتبرك بذلك ، وليتحقق له خدمة الحرمين المحترمين ، وأن تكون بحضرة شيخ الإسلامة وعلامة الأنام يحيى أفندي ، وحضرة العلامة المفيد الفهامة المجيد ، مولانا واني أفندي ، واعظ حضرة السلطان ، وحضرة مولانا فخر الباشوات مصطفى باشا قايم مقام دام مجده ، والقاضيين الأعظمين قاضي رملي وقاضي أناضولي ، وهؤلاء عيون هذه الدولة ، فأمر بحضورهم جميعًا ، فحضروا يوم الأحد صباحًا ثالث يوم وصول حضرة مولانا السلطان وهو خامس عشر الشهر ، وقد نُبِّه علينا في الحضور لحضورهم ، فلما أصبحنا بادرنا رسول مولانا قايم مقام وهو منتظر لنا في بيته ، فحضرنا لبيته مبادرين إليه ، ثم لما وصلنا إليه فيه سار أمامنا وسرنا بعده نقتفي أثره إلى سراية حضرة الملك ومحله المخصوص ، فإذا مجلس يحار فيه الوصف ، ويَكِل الطرف ، وناهيك بمجلس عين عيون ملوك آل عثمان ، أرباب العزة والصولة الشامخة على كيوان[1] ،

(١) كيون : كوكب زحل ، كناية عن الرفعة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المجموعة الرقمية لمخطوطات المدينة المنورة

دلا وراغا بعداه وقعت المحاسبة بينه وبين باقي النظار من القضاة
وتوابعهم وبين مستحقي اهل المدينة الغرا في حضوب الدساتر و
اموالها الواصلة من الديار المصرية اليهم واستبدال المذكور وعزله عن
على ذلك وتبيّن ان نصرتهم على غير الوجه المقتضى للصلح وكتبت بينهم
حجج ومسكات واوامر سلطانية واردة في العام الماضي الى غير ذلك
مما هو معلوم لدى الخصوص والعموم وفي شهر ذي القعدة من سنة ثلاثين و
وتسعمائة لعظم وتجديده وكان توجهه منا ومن باقي اصحابنا المدينيين الطالبة
له بما يتعلق بذلك والدعوى عليه بشيء مما هنالك فنزل على كثيب
من رباب الدولة وتوسل بحجج من اصحاب الصولة وتشفع بهم
الى حضرة الملك اطال الله عمره ونعمه في الخافقين امره واستغنى
حضرة شيخ الاسلام جاريا على وجهه الماضي فاستعظم من ذلك امرا
ما اشاعه وفوض خبر ذلك لحضرة الملك بل لعلنا كاتبوه فنزلا اغانيشان
ذلك الباب العالي فاقتضى الرأي الشريف السلطاني ان تكون هذه
الدعوى على يده وان يتولى فصلها بنفسه طلبا للتبرك بذلك ويتحتم
لمحتومة الحرمين المحترمين وان تكون حضرة شيخ الاسلام وعلامة الانام
مجاي افندي وحضرة العلامة المفيد الفهامة المجيد مولانا والي افندي
والخط حضرة السلطان وحضرة مولانا فخر الباشوات مصطفى باشا قايم
مقام دام مجده والقاضيين الاعظمين قاضي رملي وقاضي اناضولي
وهؤلاء عبيد هذه الدولة قاموا بحضورهم جميعا فحضروا يوم الاحد صبا
ثالث يوم وصول حضرة مولانا السلطان وهو خامس عشر الشهر وقد بقيت
في الحضور حضورهم فلما اصبحنا بادرنا رسل مولانا قايم مقام وهو منطمر
لما في بيته فحضرنا الى بيته مبادرين اليه ثم لما وصلنا اليه فيه سار اماما
وسرنا بعده نقتفي اثره الى ان سار الى حضرة الملك ومحل الخصوص فاذا المجلس عجار
فيه الوصف ويكل الطرف وناهيك بمجلس عين عيون ملوك الاعتمان ارباب
العزه والصوله الشامخة على كيوان فصعدنا الى قصره العالي وقد انتظم

عقد ذلك الجمع واشرق بمائهم الطرف ويروق السمع منا فانا من الباب
داود اغا الابيض قاضي غاسي بالمجوزه وتقدم امامنا فدخلنا وقد تقدمنا
في الدخول للمجلس المشار اليه مولانا قايم مقام وشيخ الاسلام والجماعه
المذكورون وممن احضر اسماعيل باشا امين الصره في عمامنا وعماد افندي
يشيخ الحرم الشريف المكي سابقا وجاد لا وراغا ومعه اغاتان من اغوات
الحرم النبوي في صحبته فلما وصلنا المجلس الذي عليه مهابة السلطنه
والملك والابهه وجلالة الخلافه التي تعالت ان تكون مشبهة وتحن
اذ ذاك نتلو من الدعا والثنا سورا والحظ للمجلس صورا فاذا الباب
الذي في ركن ذلك المجلس به اربعة اغلان المعدون لحوز متاع السلطان
وناهيك بهذه المزيد فكيف لا تكون صورهم بكل جمال وكالحريه
فاذا حضرة الملك في مجلسه الرفيع خلف شباك ممول من الشبيكه
بحيث تظهر لنا صورته وتلحظ هيئته والممتنع انما هو الاحاطة
بجميع الصفات وادراك كنه هاتيك الكيفيات وامام الطاقة
وهي بركن المجلس في صدره مولانا شيخ الاسلام عالي المرتبه على من
في المجلس حسنا ومعنى وعلى يمينه مولانا مصطفى باشا قايم مقام
وحضرة الملك تظلهم من بينهما وتقاعدنا بعض اهل المرتبه بمجلسهم
ان من القواعد جلوس العزيز وقايم مقام اذا غاب عن يمين الملك
وشيخ الاسلام والقاضيين على يساره كما لمجلس الذي شاهدناه وعلل
ذلك بان الوزير بالتنفيذ ومن شان العمل ان يكون باليمين فاستقدمه
وعلى يساره مولانا والي افندي والجانبه على يساره قاضي رملي مولانا
محمد افندي وبجانبه مولانا قاضي اناضولي زبركزاده والجانبه
اسماعيل باشا وعماد افندي وشيخ الاسلام والقاضيان بالعرف
المعتاد لبسته لهم وقايم مقام بالمجوزه وحضرة الملك بعمامة تشبه
التي دخل بها بني شهر لم يلبس المجوزه وباقي الجماعه بمعتاد عمائمهم
فلما وصلنا المجلس سلمت مؤدبا بالسنة فاحسب السلام ووقفت

قصف فان فيها بكتة

فصعدنا إلى قصره العالي وقد انتظم عقد أولئك الجمع ، وأشرق بما يبهر الطرف وشروق السمع ، فتلقانا من الباب داود آغا الأبيض قابي أغاسي[1] شرحها بالمجوذه ، وتقدم أمامنا فدخلنا وقد تقدمنا في الدخول للمجلس المشار إليه مولانا قايم مقام وشيخ الإسلام والجماعة المذكورين ، وممن أحضر إسماعيل باشا أمين الصرة في عامنا ، وعماد أفندي شيخ الحرم الشريف المكي سابقًا .

وجاء دلاور آغا ومعه آغاتان من أغاوات الحرم النبوي في صحبته ، فلما وصلنا المجلس الذي عليه مهابة السلطنة والملك والأبهة ، وجلالة الخلافة التي تعالت أن تكون مشبهة ، ونحن إذ ذاك نتلو من الدعاء والثناء سُوَرًا ، ونلحظ للمحاسن صورًا ، فإن الباب الذي في ركن ذلك المجلس به اوتش اغلان[2] ، المعدون لخدمة السلطان ، وناهيك بهذه المزية ، فكيف لا تكون صورهم بكل جمال وكمال حَرِيَّة ، فإذا حضرة الملك في مجلسه الرفيع خلف شباك معمول من الشيشة بحيث تظهر لنا صورته ، وتلحظ هيئته ، والممتنع إنما هو الإحاطة بجميع الصفات ، وإدراك كنه هاتيك الكيفيات ، وأمام الطاقة وهي بركن المجلس في صدره مولانا شيخ الإسلام عالي المرتبة على من في المجلس حسًا ومعنى ، وعلى يمينه مولانا مصطفى باشا قايم مقام ، وحضرة الملك تظهر من بينهما ، وقد أفادنا بعض أهل المعرفة بمجلسهم أن من القواعد جلوس الوزير للتنفيذ ، ومن شأن العمل أن يكون باليمين ، فاستفده !

وعلى يساره مولانا واني أفندي ، وإلى جانبه على يساره قاضي رمكي مولانا محمد أفندي ، وبجانبه مولانا قاضي أناضولي زيرك زاده ، وإلى جانبه إسماعيل باشا وعماد أفندي ، وشيخ الإسلام ، والقاضيان بالعرف المعتاد لبسه لهم ، وقايم مقام بالمجوذة ، وحضرة الملك بعامة تشبه التي دخل بها شهر لم يلبس المجوذه وباقي الجماعة بمعتاد عمائمهم ، فلما وصلنا المجلس سلمت مؤديًا للسنة ، فأجيب السلام ، ووقفت بمحلي ، فأشار مولانا قايم مقام وشيخ الإسلام بالجلوس ، فجلست مفترشًا كجلوس التشهد ، وأمر باقي أصحابنا بالجلوس ، فجلسوا إلى جانبي ، وكنا خمسة أشخاص ، ثم أشار إلي بالتقدم والقر لمقابلهم ، فإن المجلس

(١) مسؤول الأبواب .
(٢) هؤلاء الغلمان .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المذكور لم يكن متسعًا جدًا ، ولا مستطيلاً ، بل يكون عرضه نحو الخمسة الأذرع ، وطوله المفروش لا يزيد على الثمانية منها ، وإن زاد فغايته عشرة ، فكنت في مقابل مجلس شيخ الإسلام ، ليس بيننا وبين مجلسه ومجلس حضرة الملك خلد الله تعالى أيامه إلا مقدار خمسة أذرع أو نحوها ، وسأل عن دلاور آغا بعد حضورنا ، فحضر ، فلما وصل أراد الجلوس في جهتي ، فأشار إليه شيخ الإسلام وقايم مقام بالتحول عنه ، وأمراه بالجلوس في الوسط بين الجهتين ، فجلس ثم سكن المجلس ، فابتدر مولانا شيخ الإسلام متعنا الله بحياته مخاطبًا لي بقوله : ابن الخياري ؛ ألكم على آغا دعوة أصالة أو وكالة ، فقلت مجيبًا تأدبًا في الجواب : لا دعوى لنا ولا أصالة ولا وكالة ، دعوتنا عليه سبقت في العام الماضي لدى قاضي المدينة ، وانفصلت الدعوى ، وبلغنا أنه هو مدع علينا ، فخاطب أصحابي واحدًا واحدًا بقوله : ألكم دعوى أصالة أو وكالة ، فأجاب كل واحد بلا دعوى مطابقًا لما أجبت به ، فعند ذلك قال لدلاور : ألك أنت دعوى . هؤلاء يقولون لا دعوى لهم الآن ، فلم يجب بشيء ، بل أبهت وأدخل يده في جيب قميصه أي في جيب فرجيته فأظهر حجتين : إحداهما فيها بثبوت ما تقدمت الإشارة إليه مما في شهرته ما يغني كما تقدم عن الدلالة عليه ، والثانية فيها الصلح الواقع ثانيًا بعد الصلح الأول الواقع على تسعة آلاف شريفي أحمر ، والثاني وقع بحضرة أمير الحاج المصري أوزباك بيك وعساكر مصر ، وقد أمضاها قاضي المدينة أحمد أفندي ابن يحيى أفندي ، فقلت في الجواب بعد الاطلاع عليها : قد وقع ذلك ، ولكن بالتزام المصريين والرهبة منهم ، فقال حضرة شيخ الإسلام : شروط الإكراه لا تخفاك ، فقلت : قد ورد في العام الماضي أمر سلطاني بإلزامهم بالستة الآلاف الباقية ، فخاطب بعد سماع ذلك مولانا مصطفى باشا حضرة الملك بذلك ، وقال : نعم ؛ وقع أمركم بذلك معبرً عنه بالتركية ، وهذه حق الفقرا ، وانتهى كلامه ، ثم قال مولانا شيخ الإسلام لدلاور : هل لك دعوى غير هذه ، فقال : لا ، وكرر عليه ذلك مرارًا ، فلما لم يجب بدعوى أمره بالقيام من مجلسه ذاك إلى جانب عماد أفندي ، فجلس ، ثم قال لنا وحضرة السلطان يسمع : ألكم حاجة ، وما سبب المجيء ، فقلنا : تقبيل سدة مولانا أيد الله أحكامه ، وأدام على البرية أيامه ، ونفذ في الخافقين أحكامه ، واغتنام إحسان مولانا السلطان ، وطلب إنعامه ، فلقد توالت علينا

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سنون كسني يوسف ، ثم جرى ذلك الأوقاف الواردة للمدينة الشريفة من جهة مصر من الدشايش وغيرها ، وسبب ذكرها هو أنه لما قرئت الحجة الأولى ، وفيها اغتم مني شيخ الحرم والنظار ، حوسبوا عن سنتين عن حب الدشايش وغيرا ، وسبب ذكرها وأموالها سأل حضرة السلطان عن حقيقة الدشايش وما هي ، وهل هي واردة في كل عام ، أم كيف الحال ، وكان الأدرى بتفصيل أحوالها ورودًا وصرفًا لمباشرتها استلامًا وبعثًا أيام كان حوالة أهل المدينة بمصر المحمية الآغا محمد ظافر آغا الطايفة الاسباهية ، فقال مجيبًا عن ذلك : أصلها كذا ، ومقدارها كذا ، والذي ورد منها في العامين كذا ، والمتخلف كذا ، وأن المرادية تصل كل عام تمامًا ، والأحمدية تصل كذلك ، وسئلنا عن ذلك فأجبت عن المرادية والأحمدية بما أعلمه من وصول ما يتعلق بالوقفين من معاليمهما تامًا لأرباه ، وذلك لأن لي في الجهتين مرتبًا ، وأخبرت عن الدشايش بأنها لا تصل كاملة من غير تعيين لمقدار المتأخر ، فإني لا أعلمه على التعيين ، وأبرز المذكور بطاقة بخط أحد المباشرين المعول عليهم في مصر ، وهو ابن سهراب بمقدار الدشايش ، وكان القاري لها كالحجتين أولاً مولانا قاضي رملى ، وقبل السؤال عن الدعوى أحضروا له دواة وقرطاسًا وضعا بين يديه ليسطر فيه الدعوى ، فما ظنك بمجلس يكون شيخ الإسلام مولى الحكم فيه بحضرة ملك الزمان وقاضي عساكر رملى يتعاطى كتاب ما يحتاج لكتابته وأعيان الدولة حضور ، فلما انتهى السؤال والجواب وقد أمر حضرة الملك بالتنبيه على النظار بصريح الخطاب ، وعلمنا انقضاء ذلك المجلس بسطنا أكفنا بالثناء والدعاء جهرًا بمرأى ومسمع من حضرة السلطان أدام الله دولته ، ومكن في الخافقين صولته ، وحضرة من تقدم ذكره من الحاضرين ، وانصرفنا فرحين مستبشرين بتمام هذه الدعوى على هذا الوجه الذي يحفظ ويروى ، وليس ذلك إلا ببركته وملاحظته صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد وعظم ، وقد كان شاع في ذلك القطر خبر هذه الدعوى واستعظمها عظماؤهم ، وكادوا يعدونها من جملة البلوى ، فإنه نودي ليلاً في أنحاء البلدة وجهاتها على الجدران والحيطان أن في الغد لحضرة مولانا السلطان بيك ديوان ، وقد **كان كثير ممن حضرها ومن أرباب الدولة الذين لم يحضروها حاسبين حسابها وما ويترتب عليها عندهم من حضورنا ووصولنا أمر عظيم ، وخطب جسيم ؛**

لتوهمهم منا ذكر أشياء كثيرة ، وأمور ووقايع شهيرة ، وهم يحرصون على كتمها ، أن لا يحيط حضرة الملك بعلمها ، وتلك كما علم الله لم يخطر ذكرها منا ببال ، ولا أنا أضمرناها وأردنا إظهارها في ذلك الحال ، فلله الحمد بدءًا وعودًا على نعم لم تزل علينا تترى ، ومنن لم تبرح منها أولى حتى ترد أخرى ، ولقد أخبرنا الكثير ممن لقيناه بتلك الديار ممن له إحاطة وعلم بالدولة العثمانية وما مضى فيها من الأخبار والآثار **أنه لم يقع نظير المجلس قبله لهذه الدولة في عصر من الأعصار** ، وغاية ما يقع إذا عظمت دعوتي أن يحضرها القاضيان قاضي رملى ، وقاضي أناضولي ، وأما حضور شيخ الإسلام وتوليه الكلام ، وحضورهما على الوجه المتقدم ، وسماع حضرة الملك مع قايم مقام ، ومراجعته بالجواب والسؤال في المجلس فلم يتفق قبل هذا اليوم مجلس نظير ذلك المجلس ، فهذا مما يُحفظ ويُعض عليه بالنواجذ ، ثم بعد انصرافنا وانصراف ذلك الجمع ذهب قايم مقام إلى بيته ومعه شيخ الإسلام ، وواني أفندي وباقي أعيان خواص الدولة ، وطلبا منا شخصين يعرفان التركية ، وتذاكروا كيف يكون الحكم في التنبيه ، واستفصلوا للأخبار المتعلقة بالأوقاف المذكورة أتم استفصال ، وأجمع رأيهم بعد **أن أطلعوا حضرة السلطان الملك عليه على تعيين بلطجيين**[1] **من خدام السلطنة كل عام يتوجهون إلى مصر لمحاسبة نظارها واستلام الحبوب وإيصالها بالمراكب إلى الحرمين ، ثم إلى مستحقيها** ، ثم يأخذون محضرًا بأنهم استوفوا حقوقهم إلى غير ذلك مما يضارعه ويناسبه هذا ، وقد كان الواقع من الآغا المذكور يحق أن نقول فيه الكلام المشهور ، وهو أنه صار كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه ، وأحسن بما ظنه أساءه ، ولكن لا يكون إلا ما أراده الله وشاءه ، **فوقع ولله الحمد التنبيه على النظار في التقييد بإيصال الحبوب وإغاثة الطالب بنجاح المطلوب** ، ثم بعد أن انقضى ذلك اليوم على النحو المشروح اجتمع بي كثير من أرباب الدولة ممن يغدوا لأبوابها ويروح وهم يبالغون في الثناء علينا ، والدعاء لنا ، ويقولون إن الواقع في ذلك المجلس جميعه إنما كان من الإلهام ، **وإلا لو وقع خلاف ذلك لطارت رؤوس كثير من أرباب الدولة عن الهام** .

---

(١) خدم خاص من خدام السلطنة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة